دولة رئيس مجلس الوزراء الشيخ سعد الدين الحريري

ممثلاً

بمعالي الوزير غازي العريضي

أصحاب المعالي

أصحاب السعادة

أيها السادة،

تكريم الصديق الحبيب فؤاد عبيد
تكريم للذات ولذاكرة لبنان أولاً

فؤاد عبيد،

سالتُ الفؤادَ يوماً، عَن لُمعٍ في النجومِ كيف تبدو فأجاب: النظرُ إليها من الأعماقِ شيءٌ، والناظرُ فيها في العين شيءٌ آخرْ. وأنا اليومَ في حيرةٍ من أمري كيف أنظرُ؟ أمنَ الأعماقِ أم من العينِ؟ من الشوقِ والحسِّ حيث تتقاربُ المسافاتُ مع البصيرةِ: الباصرة، وحيثُ الوهمُ ينجلي بالحقيقةْ، وحيثُ الظّنُّ أقوى على الحُبِ مِنْ مساحاتِ الهباءِ والضيَاعْ؟.

كيفَ أنظُرُ والخواطرُ ملأى بالنفاذِ، والوهّنُ والسُكونُ أَحلى على الأذنِ من وقّعِ الحبيب في الحضُوْر؟

كَيفَ أنظُرُ والاسمُ هُو فؤاد عبيد، أمينٌ على المحَفوظاتِ من ذرِّ الفصولِ والسنوات فالفؤادُ فؤادٌ بِكُلِّ ما تُجسّمُه الكلمةُ من معنى.

وفي نهائيةِ الحلقاتِ، إنَّ الاسمَ الرَمْزَ يشابِهُ الاسمَ في الجَوْهَرِ، لا بَلْ دَعْني أقولُ أنّ الأسْماءَ جميعاً، هي في هَذا المِحوْرِ دُونِما زِيادةٍ أو نُقْصانٍ.

الفؤادُ فيما يَعْنيهِ أنّه الحِسُّ المُرْهَفُ بأشياءِ الوجُود. وهُو أيضاً المعرفةُ، والحَدْسُ والرُؤْيةُ، دُونما تناقُضاتٍ، والهدوءُ وسلامةُ الذوقِ وهذا كلُّهُ تَجِدُه في المكُرَّمِ الطيّبِ الطيّبْ.

أُنتْقِلُ في الصَفْحةِ الثانيةِ إلى العُبيدْ.

فَهُو لَيْسَ من العَبْدِ في شَيءٍ وهُو في الحريةِ مْن كُلِ شيءْ. العُبيدُ من العابِدِ لا من العَبْدِ، وهُو أقْرَبُ الناسِ على الله، أيْ على الحريةِ في مُطْلَقِ أبْعادِها، والحُبِ في مْطلّقِ وُجودِهِ.

هذا الساجدُ أبداً، المُرْتقي دَوْماً إلى صُعدانِ الحقيقةِ. المُتقّي كُلَّ كمَالٍ وفَلاَحْ. الناظِرُ بِورَعٍ إلى الجَمالاتِ يُحْصيها في قَلْبِهِ وَعَقْلِهِ وَكَيانِهِ.

العُبيدُ العابِدُ جُزْءٌ من مَلكوْتِ، وسُلافٌ في دِنِ كُلُ الحِقُولِ والعُصورِ والموازينْ. إنّهُ السِمةُ لِكُلِّ مَنْ عَبَدَ الله بالرحمةِ والنُورِ والحقِّ.

يَأتي أَشْياءَ الدُنيا، فلا ينغِّصُه شَيءٌ مِنْ كَرمِها وجَوْدتِها، وسُموِّ مَصائِرِها. يَأتي الصداقةَ كَما يَأتي البِرَّ والصَلاحَ. يُحبُ، إذنْ يَسَمْو، ويُبِرُّ المَخْلوقاتْ، كَمَا هُو دائماً في حَضْرةِ الصَداقاتْ.

وأَخيراً تأْتي المَحفْوظاتُ كَأمينٍ لَها. والمحفْوظاتُ كالصَداقاتِ مُدلَّةٌ دائماً على الوفاء. والوفاءُ أطيب مَا في الدُنْيا، وأبرُّ ما في الآخِرة. إنّهُ المُحافظَةُ على الإرْثِ المَصونِ بِكُلِ ما لَهُ مِنْ أهميّة. والحافِظةُ تَعْرِفُ كَيْفَ تُثَّمِنُ الأشْيْاءَ فلا يَقْهرُها زَمانٌ ولا ضياعْ. والأشْياءُ تُصْبِحُ في هذا الحِرْصِ كالمُطْلقَاتِ وكَالكُليّات.

فصحيحٌ أَنها جُزْءٌ من الماضِي، ولكنّهُ الماضي الذي يُوقِفُ الزَمانَ عَنْ النُزوحِ والنِسْيان.

والمَحفْوظاتُ في أهميّتها لَيْسَتْ حُدوداً ولا قَهراً للزمانِ الآتي، ولا شَرَكاً يقعُ فيه الحاضِرُ، فلا يتحفَزُ للإبداعِ بَلْ هي الطَّيعَةُ التي تَدْفَعُ بالإبداعِ إلى الوجُودْ.الإبْداعُ بِلا الحافِظةِ كالسُوريالِيةِ التي لا تَقَعُ فيها على رَأسٍ وأخمصِ قَدَمَيْن وهدفْ. لا بَلْ إنَّ أجْمَلَ تَحدْيدٍ للسُوريالِيةِ هُو أَنَها إبْداعٌ بِلا حافظِة. وجَمالٌ مُفرَغٌ من ذاتٍ وهدفٍ ووُصولْ. والَجمالُ مَعَ الحافِظةِ وَعدٌ بأنّهُ سَيهلُّ مع الفَجْرِ الآتي. الحافظةُ إذنْ هَيْمانةٌ دائِماً بفجْرٍ جَديدْ.

فَرَادةُ فُؤاد عبيد أنّهُ أرادَ المُؤسّسةَ اللُبنانيَةَ لِلْمَحْفوظاتِ أَرْضاً مُقدّسةً وجُغرافيا روحيةً لا تُقاسُ بالأمْتارِ بَلْ يونانَ مَشْرقيَّةً كَوْنيْةً، اثينا عَقليةً روُحيةً حَفِظَ فيها عَباقِرَة لُبنانَ الخالدينَ في السِياسْةِ والفِكْرِ، والأدب والشِعر، والعِلْمْ. فإذاً تلكَ المؤسّسةُ، في عُهْدتِهِ، مَشْروعٌ حضاريٌّ تَنْويريٌّ جَمَعَ فيهِ تُراثَ لبُنانَ الحضاريَ والروُحيَ الكبيرَ واحتضَنَ ثَرْواتِه البَشَريةَ والفِكْريَةَ والثقافيَةَ التي هي وَحْدَها ثَرْوةُ لبنانَ الحقيقيَ التي تَفوقُ جَمالَ طبيعتِهِ وفَرادتَها. كما أرّخَ لِمئةِ شَخْصيةٍ لبُنانيةٍ مُبدِعةٍ وَخلاقةٍ، بأقْلامِ وأصْواتِ أصْحابِها بالذاتِ لتكوّن ذاكِرةَ العّدِ لأجَيْالِ لبُنانَ الغَدْ.

أنَا لا أفيكَ اليَومَ حقَّكْ

لكنْ أُؤدّي فيكَ حَقَّ بلادِي

وَطنيةٌ ملءُ الفؤادِ وهّمِةٌ

عاليةٌ من حِكْمةٍ وسَدادِ

أنا ما إلتفتُّ إليكَ إلاَّ عادَني

طَيْفٌ يُراوِحُ خاطرِي ويُغادِي

تَلَفَّتْ يا فُؤادُ تَجِدْ وفاءً

وما إحْتاجَ الوفاءُ إلى دَليلِ

أَقولُ لِحاسِبِ السِتَّينّ، مَهْلاً

وقَعَتَ على الحسِابِ المُستَحيلِ

إذا أحصيت للأجسام عمراً،

فكيفَ تعدُ أعمار العقول؟

أرى سحر الشباب عليك غضاً

وقاك الله أنفاس الأصيل

وفي هذا اليوم الجليل أزف

إليك تحيات الزميل إلى الزميل

كَذا رأيتُكَ أيُّها المكرَّمُ فؤاد عبيد في الحافِظةِ والعبادَةِ والعينِ التي تَنْظرُ من العقلِ والقَلْبِ، مَجْموعاً أبداً في اهتماماتِ شعبٍ ومحّبةِ وطنٍ وسخاءٍ بالصداقاتِ مُنقطِعِ النَظيرْ.

كَذا رأيْتُك في محبّتي أنا وتحلقُ الناسِ مِنْ حَوْلِكَ. فالصداقَةُ تَرْتدُّ أبداً على مصُدِّقيها بِحَجْمٍ من الخَيْرِ والحُبِ والجَمالْ.

سَأسْعى إليكَ بالطيب زَهْوَةَ كُلّ رَبيْع، وبالنَجاوى شدْوَ كُلِّ طَيْرٍ وبِمحبّةِ لبُنانَ في كُلِّ فَصْلٍ وذاكِرةٍ وسُموْ.

وفي الختامْ، هَذا لَيْسَ كلاماً مِني للعزيزِ فُؤادْ.

إنّما هي تأملاتٌ مَنثْورةٌ مِنْ وَحْي سِيرةِ ومَسيرةِ فؤاد عبيد.

إنّها بَوْحُ نشيْد. شبهُ صلاة. فَكُلُّ يَوْم يمرُّ هُو تكْريمٌ للفؤادِ الذي لهُ في أفْئدةِ مُحبيّهِ– ومَا أكْثَرهُمْ – المجَالُ... وكُلُّ ذكرٍ لَه احْتفالْ.

أخي فؤادْ أنْتَ مَدْرَجٌ لِقيمِ لبُنانَ الجديدْ

سُلَّمٌ يَصِلُ الأرضَ بالسَماءْ